# المثقف وسؤال العنف والموت في رواية المحنة

# The intellectual and the question of violence and death in the novel of adversity

وناسة صمادي *

جامعة باتنة 1

مخبر: المتخيل الشفوي بين حضارة المشافهة من جهة

و حضارة الكتابة و الصورة من جهة أخرى

البريد الإلكتروني: ouanassa.smadi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 19-**05-2021** تاريخ القبول: 04-**07-2021**

**ملخص:**

يدور موضوع الدراسة حول موت المثقف في رواية المحنة التي أرخت لجنيالوجيا العنف والألم في الجزائر، حيت ارتبط بتوقيف المسار الانتخابي بعد تشريعيات 1991 ، بفوز الحزب المنحل –فيس- ، تحولت اثر ذلك الجزائر إلى فضاء يمارس فيه القتل سلطته على الجميع خاصة الأنتلجنسيا، المستهدفة أكثر من غيرها من قبل أولئك الذين غذُوا العنف و أكدوا براديغم الانسان الشرير بطبعه

الكلمات المفتاحية: عنف؛ سرد المحنة؛ إرهاب؛ موت المثقف.

**Abstract:**

The subject of the study on the intellectual in the novel of the plight, which chronicled Genia Logia violence and pain in Algeria, where the violence was linked to the arrest of the electoral track after the legislation of 1991, and the victory of the party of Fiss turned Algeria after that into a space in which the killing of this power over everyone, especially the Atlantis, by those who fueled the violence and Bradygam the evil man by nature.

**Keywords:** Violence ; The narrative of adversity ; Terrorism ; The death of the intellectual.

**مقدمة :**

أنتجت المحنة التي عرفتها الجزائر في التسعينات أدبا مميزا، ترعرع في رحم الاحتقان الاجتماعي والأزمة الأمنية، وكان للرواية الحظ الأوفر في معالجة يوميات الموت للفرد

* **المؤلف المراسل**

الجزائري وشكلت نصا موازيا للتاريخ، تحكي تفاصيل وجزئيات القتل والعنف الممارس في المجتمع، لهذا ترى الناقدة "آمنة بلعلى" أن هذه الروايات أرخت لمرحلة العنف بكل تفاصيلها ومظاهرها، وانتجت مطارحات نظرية في الإيديولوجيا والسياسة على لسان الساردين والشخصيات[1] وبذلك غذّ العنف السياسي خيال الروائيين، الذين صوّروا الواقع الجزائري ونقلوا صورا حيّة عن العنف والعدوان والدموية وتحولت الجزائر إلى فضاء للقتل والتصفية الجسدية، وأصبحت «الحامل المخصبة بعنف الفعل والفكر وإن أنّت وتألمت تحت ضربات أهل الجور والجشع، الباحثين عن سلطان صار في وقت الفتنة افتراضيا، بسلطان الدم كانت تصنف وتفرز وتغربل عشاقها الآتيين من أرحام التاريخ والوافدين من سهول العزة وسهوب الكرامة»[2] ودخلت الجزائر تاريخها المعاصر بعنف أهلي، أوصلها إلى عشرية سوداء، دموية، تنامى معها القتل، الكل جان والكل مجني عليه.

ويعد توقيف المسار الانتخابي لتشريعيات 1991م نقطة تحول في تاريخ الجزائر، بحيث تحرك العنف وأصبح قوة ضاغطة تهدد كيان المجتمع، خاصة المثقف الذي فضح جرائم الإرهاب وقادة التعذيب، وكانت له مواقف صارمة من عدو الحياة والفن بتعبير "جان بوديار"[3] فما مفهوم هذا العدو؟، وكيف حولت الرواية الجزائرية الموت والعنف والارهاب وبشاعة الأحداث إلى ظاهرة، ميّزتها في هذه الفترة، التي تحول معها المجتمع إلى دفاتر لتصفية الحسابات. إنها مفاهيم متوترة، وتوتر العقول، والسؤال عن ماهية العنف مسكون بالآلام والدماء والجماجم المنحورة باحترافية كبيرة .

**1-مفهوم العنف:**

**1.1- لغة:**

جاء في لسان العرب : «العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرّفق، عنف به وعليه يعنف عنفا وأعنفه وعنّفه تعنيفا، وهو عنيف إذ لم يكن رفيقا في أمره، واعتنف

[1] - ينظر آمنة بلعلى،(2011)، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، د ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص 77.

[2] - محمد الطيبي،(2008) من أجل نظرية معرفية للإرهاب، ط أولى، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 155.

[3] - ينظر أم الزين بنشيخة المسكيني، (2016)، الفن في زمن الإرهاب، ط أولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ص 30.

الأمر: أخذه بعنف»[4] فالعنف يدل على الشدة والقسوة واضطهاد الآخر وقمع إنسانيته، والعنف والقسوة صنوان وقد حض الإسلام على تركه ودعا إلى التزام الرفق[5].

**2.1-اصطلاحا:**

تعددت مفاهيم العنف، التي تؤطرها عوامل عدة منها السياسي والاقتصادي والثقافي والإيديولوجي، بحسب اختلاف المنطلقات المعرفية للباحثين، وتظل هذه المفاهيم نسبية، ومع ذلك يمكن الوقوف عند هذا التعريف العام؛ الذي يؤكد أن العنف هو تلك «القوة المفرطة التي تستخدم لإخضاع الغير»[6] كما يعرف السيكولوجيون العنف بأنه «استعمال مفرط للقوة من خلال استعمال القانون وإلغاء حق الفرد»[7] فالأنا المتحكمة في القانون تلغي الآخر باستعمال كل الأساليب من قوة وتعسف وسلطة؛ إذ تتحول إلى لغة التخاطب مع الآخر، مع اختلاف أشكال العنف سواء كان ماديا، حيث يتجلى في السلوك الوحشي مثل الضرب والتعذيب والقتل والاغتصاب، أم لفظيا والمتمثل في السب والشتم والتهديد، أم نفسيا غير الملموس مثل الابتزاز، الذي يعزل الفرد ويمنحه الشعور بالنقص[8].

وقد ارتبط العنف بظاهرة الإرهاب TERRORISME ويعد مظهرا من مظاهره، وهو يضرب بجذوره في عمق التاريخ، حيث بدأ هذا المصطلح في الظهور في القرن الثامن عشر، إذ استعمله مونتيسكيو MONTESQUIEU للدلالة على الأنظمة الاستبدادية ومن ثم استعمل كمصطلح "terrorisme" في ملحق الأكاديمية الفرنسية عام 1798 [9] ، والإرهاب في

---

[4] - ابن منظور الإفريقي المصري أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، د ط، دار صادر بيروت، د ت مج 9 مادة عنف ص 303.

[5] - ينظر عبد العزيز عزت الخياط،(2007)، وسطية الإسلام، أبحاث موقف الشريعة الإسلامية من الحق الإنساني والعنف والسلام والإرهاب والحرب والجهاد والأسلحة النووية، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 57.

[6] - أحمد أوزي، سيكولوجية العنف،(2014)، المؤسسة، ومأسسة العنف، ط أولى، منشورات مجلة علوم التربية، الرباط، ص 12.

[7] - NorbertSillamy (1980) Dictionnaire de psychologie Bordas, paris, p 1226

[8] - ينظر أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، ص 11.

[9] - ينظر توفيق الحاج،(2013)، القرار 1373 والحرب على الإرهاب، ط أولى، منشورات زين الحقوقية، صيدا، ص 28 ، 29.

اللغة هو من الفعل رهب بالكسر، يرهب رهبة ورهبا بالضم، ورهَبا بالتحريك، أي خاف ورهب الشيء رهبا ورهبا ورهبة، خافه والاسم الرّهب والرهبى، والرّهبوب والرهْبوتي ورجل رهبوت، يقال: رهبوت خير من رحموت، أي لإن تُرْهب خير من أن تُرحم، وترهّب غيره إذا توعّده[10] فهذه المفردة التي وصلت إلى العالمية تحمل دلالات الخوف ونشر الرعب والفزع بين الناس، تأتي في قمة اهتمام الحكومات والسلطات وعامة الناس، فالإرهاب «يمثل أقصى أشكال العنف؛ تدميرا وهو لا يفرق بين القريب والبعيد من الناس .... وكثيرا ما يغدو الإرهاب شكلا من أشكال الفوضى وأسلوبا من أساليب التخويف والترهيب دون هدف واضح، مالم ينبن على إيديولوجية واضحة ومحددة»[11] لقد أصبح الإرهاب يستقطب اهتمام العالم أجمع، لأن جرائمه لا حدود لها، وأسس نظريته المعرفية وفق منظومة من القيم الفاشيستية، التي زادت من هوة الخلاف والعداء بين الأنا والآخر، الذي «ربط الإرهاب فعلا وفكرا وأهدافا بدين الإسلام وهوية العرب ... هنا لم يعد الأمر يتعلق بأحكام معيارية اعتادها العرب والمسلمون، وهي متراكمة في ثقافات الغرب وذاكرته ونصوصه وإنما في المشروع الذي يهدف إلى استئصال البعد الجغرافي الثقافي للعرب والمسلمين وتحجيم فاعليتهم وخنق فرص نهضتهم»[12] إن الغرب رسخ ثقافة الإرهاب بكل ما يملكه من وسائل الإعلام والدعاية والإشهار التي روجت للظاهرة وربطتها بالدين الإسلامي، فكل تطرف له علاقة بالإسلام، وتحول دين التسامح والرحمة إلى إسلاموفوبيا.

في حين تغض هذه الوسائل الطرف على الممارسات الإرهابية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، وغضت الطرف على المجازر التي ارتكبها الصرب والكروات في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وتناست ما فعلت محاكم التفتيش ضد الموريسكيين، وأعلنت قوى الغرب الحرب على الإرهاب - الإسلام – وفعّلت كل الوسائل لأجل ذلك؛ فحاصرت ودمرت رموز الحضارة الإسلامية، وفي تصورنا أن الإرهاب ليس له دين ولا جنسية بل له ملة واحدة «ملته معاداة البشر، لا يفرق بينهم إلا من حيث وزنهم في تحقيق مراده ومبتغاه»[13] فمثله كمثل

---

[10] - لسان العرب مج 6 مادة رهب ص 240.

[11] - أحمد أوزي، سيكولوجية العنف، ص 20.

[12] - محمد الطيبي، من أجل نظرية معرفية الإرهاب ص 27.

[13] - محمد الطيبي، من أجل نظرية معرفية الإرهاب ص 153.

الورم الخبيث، حيث راح ينتشر في كل مكان، يأتي على كل ما يصادفه في طريقه، وكانت الجزائر فضاء لإرهاب متطرف يحمل معنى «وصاية الفكر والرأي المغالي وفرضه على الناس، وإفساد عقولهم وأخلاقهم، وقتل مخالفهم» وهذا ما تبنته الجماعات المسلحة، في الجزائر في تسعينات القرن الماضي؛ هذه الجماعات بكل دُغمائية أرادت فرض منطقها المتطرف على الشعب الجزائري، الذي رفض هذا الفكر، ودفع ثمن ذلك يوميات من الدم والعنف، عانى منها كل شبر من هذا الوطن.

**2-ظهور سرد المحنة:**

واكب الأدب العشرية السوداء بكل تجلياتها وراح يؤرخ لهذه الفترة ، وكان لرواية التسعينات ارتباط بالواقع الجزائري المثقل بالعنف والدموية، يئن من سلطة إرهاب متطرف لا يفرق بين الحق والباطل، وتشكلت من جثث القتلى والمغتصبين وكانت الأزمة الرحم الذي أنجب أدب المحنة حيث تفاعل «مع عشرية الأزمة الأمنية والحرب الأهلية وكتبت المئات من الروايات باللغة الفرنسية والعربية، غلب عليها في تلك اللحظة الطابع الاستعجالي والتسرع، وكذلك طغيان الرؤية الإيديولوجية والأسلوب المباشر»[14] وعاش الأدب سياق المحنة وتشكل من يومياتها وأرخ لشخوصها وأحداثها، لأن الأدب لا يستطيع «أن يكون خارج سياقه التاريخي، فهو يعيش ضمن هذا السياق ويكتب في هذا الأفق»[15] أخذت الرواية الجزائرية تصور يوميات النار، محتفية بالجزئيات التي يهملها المؤرخ ولا يحفل بها، وأصبحت رواية حدث بامتياز la littérature d'actualité - تهتم بقضية الراهن[16] لذا اصطلح على تسميتها بالرواية الاستعجالية حيث ركزت على الموضوع دون الجانب الجمالي، لأنها جاءت كرد فعل سريع على سلطة الإرهاب وهمجيته وجنونه، ومثّل الموت فيها المركزية، وتحول إلى لغة الخطاب السردي، وهذا ما تؤكده الناقدة "آمنة بلعلى" بقولها «يهيمن فعل الموت في بعض الروايات منذ البداية حيث يوقفنا السارد على رائحة الموت والدم من خلال عرض حالة المدينة أو الناس المهزومين»[17] واستهدف الموت الجميع، وأكثر الناس استهدافا المثقف وإذا

---

[14] - بشير مفتي، (2013 م)، سيرة طائر الليل – نصوص شهادات، أسئلة –، ط أولى، منشورات ضفاف بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1434 هـ، ص 90.

[15] - بشير مفتي، سيرة طائر الليل ص 91.

[16] - بشير مفتي، سيرة طائر الليل ص 93.

[17] - آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 79.

قال، بارت R-Barthes بموت المؤلف فقد قالت الرواية الجزائرية بموت المثقف «فكان الصحافي والرسام والمسرحي والكاتب والفنان وغيره من الفعاليات المثقفة هدفا للموت»[18] لقد رصدت الرواية صورة المثقف وشخّصت طرق تصفيته، وتحول من الديناميكية في تغيير أوضاع المجتمع، ومن صانع للفكر والمتكفل بحمايته إلى عدو ؛تسعى الجماعات المسلحة لتصفيته وهذا سيؤدي بالضرورة إلى خلخلة نظام المجتمع الذي سيصبح معطوبا في فكره، نتيجة لغياب المثقف.

**3- مفهوم المثقف:**

عرّفه غرامشيAntonio Gramsci (1891 – 1937) في كتابه "دفاتر السجن" وفرق بين التقليدي والعضوي فـ «المثقف التقليدي هو الذي يواصل فعل الأشياء نفسها من جيل إلى جيل مثل المدرس والكاهن ... والمثقف العضوي هو صاحب العقل والفكر المرتبط بصورة مباشرة بالطبقات أو المشاريع، التي توظف المثقف لتنظيم مصالحها»[19] إذن المثقف يتجاوز الوظيفة إلى دور أسمى؛ هو وعيه بضرورة تغيير الأفكار لأنه «إنسان التفكير والنقد والسجال وليس إنسان الخبرة التقنية، فهو إنسان تأملي، في خدمة القيم والدفاع عنها والحفاظ عليها»[20] إنه صديق القيم والدين والفلسفة والإيديولوجيا وهذا ما يؤكده الباحث " محمد شوقي الزين": بقوله: «يشكل المثقف استمرارية التراث والدين أو الفلسفي أو الثوري أو الإيديولوجي الذي يتبناه، وفي الوقت ذاته نقد داخلي لمحتواه بتنويره ومجاوزته»[21] أي الحلول مكانه بالتغيير عنه واستبطانه لذا يحتاج المثقف إلى مؤسسة «مدرسة، جامعة، مذهب، إيديولوجيا، حزب ... إلخ، لتخليد تراثه المنحدر عنه ثقافيا وروحيا»[22] من هذا

---

[18] - فريدة إبراهيم بن موسى،(2011)، زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية، د ط، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، ص 23.

[19] - Antonio Gromsci,( 1971) , the prison notebooks, 1 sélèctions, tronsquentinHoare and Geoffrey Nowell – Smith (New york ; international publisher, p 4

[20] - محمد شوقي الزين، (2012)، الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، ط أولى، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 86.

[21] - محمد شوقي الزين، الذات والآخر، ص 88.

[22] - إدوارد سعيد، (2006)، المثقف والسلطة، تر محمد عناني، ط أولى، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ص 21.

التصور يمكن القول: إن المثقف يحتاج إلى من يؤطره وبالتالي حتمية انخراطه وانتمائه، وهذا ما يرفضه "إدوارد سعيد" حيث يقول: «الواقع أنني أحاول في هذه المحاضرات أن أتحدث عن المثقف أو المفكر باعتباره شخصية يصعب التكهن بما سوف تقوم به في الحياة العامة، ويستحيل تلخيصها في شعار محدد أو في اتجاه حزبي معتمد أو مذهب فكري جامد ثابت»[23].

لأن الانتماء يقيد المثقف، ويفرض عليه سلطة الوفاء للجهة التي تؤطره، وهذا يخالف دوره الذي يقول بعدم الصمت، وضرورة الانخراط في العمل الفكري وفضح الفساد كيفما كان شكله ونوعه، ويفترض أن يكون شخصا فانتاستيكيا في تصور ج بندا Julia Benda فـ«المثقف الحقيقي يفترض أنه على استعداد لأن يُحرق علنا، أو أن ينبذ من المجتمع تماما، أو يُصْلب ... ومن ثم من المحال أن نجد عددا كبيرا منهم، ومن المحال إعداد من يقومون بهذا الدور بصورة منتظمة، لابد أن يكونوا أفرادا يتصفون بالكمال، ويتمتعون بقوة الشخصية، وقبل هذا كله عليهم أن يكونوا دائما معارضين للوضع الراهن في زمانهم وبصورة دائمة تقريبا»[24] فالمثقف شخصية مركزية فاعلة، وظهوره هو ميلاد لإيديولوجيا الرفض «فهو يدل أساسا على نضال في الدفاع عن القضايا والمُسَلَّمات أو المنافحة عن الحقوق والهويات، المثقف في جوهره كائن ثوري، أو ثائر يدعوه وعيه إلى إنقاذ الضمائر والدفاع عن المصائر»[25] إذن المثقف إنسان ثائر، يرفض الفساد في جميع رموزه، ولأنه يمتلك وعيا معرفيا؛ يكون في الطليعة لمواجهة من ينتهك الحقوق والحريات ويمارس كل أنواع العنف والقهر ضد الإنسانية، وهو مكلف بأداء رسالته، لوضع الحقوق في أماكنها، وتعزيز قيم العدل والمساواة، لذلك وجه الإرهاب ضرباته إلى هذه الفئة، ومحور الشر والشيطنة الذي تبنته الجماعات المسلحة في الجزائر قال بتكفير كل جزائري رافض العنف، في ظاهرة الإرهاب، بوصفه فعلا معاديا للإنسانية، ومعه تحول المجتمع الجزائري إلى مجتمع السوبر عنف، لأنه في الأصل ظاهرة اجتماعية، كما يؤكد ذلك علماء الاجتماع «العنف في الحقيقة اجتماعي في الأصل، فالمجتمع هو الذي يجعلنا إما خيّرين ومحبين للآخر وإما حاقدين

---

[23] - إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ص 21.

[24] - إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ص 38.

[25] - محمد شوقي الزين، الذات والآخر، ص 90.

وقتلة»[26] و كان المجتمع حاضنة شملت الجماعات المتطرفة، الحاقدة على الجميع دون استثناء، وكان المثقف روبن هود Roben Hood– على حد تعبير "إدوارد سعيد" – بثورته ومناهضته لعدوانية الآلة الضلالية للجماعات الإرهابية، وشكلت الحدث الأبرز في رواية المحنة حيث انتقل الروائي من «عنف الواقعة إلى عنف النص ذاته، النص المشبع بالأساليب الدامية مما حتم توظيف لغة عنيفة مرصعة بالكلمات الحاملة لدلالات العنف»[27] ومَثَّل المثقف الشخصية المحورية في الرواية الحمراء على اختلاف أشكاله كونه يحمل فكرا حداثيا مغايرا للسائد وقتها[28] وكونه يمثل نقطة ارتكاز للتأثير بما يملكه من ثقافة واعية لتحليل أوضاع مجتمعه والضغط وملاحقة الآلة الهمجية، وهذا ما ترصده الروايات قيد الدراسة.

**4- تمظهرات الموت والعنف في الرواية:**

**1.4-الشمعة والدهاليز: المثقف السلبي.**

تطرح رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطّار، إشكالية المثقف السلبي الذي لم تستثنيه الهمجية الإرهابية فهو يمتلك إمكانات معرفية بحيث يرفض الأفكار الخاطئة والمفاهيم السلبية المنتشرة في مجتمعه لكنه ظل سكونيا، ورغم ذلك أدين بجرائم لا يعلم عنها شيئا، المثقف في الرواية أستاذ جامعي وشاعر وهو نعت له Adjectif ، وتحول إلى اسم وقيمة Substantif لم يُعرف بغيره، يُعلِن السّارد عن محاكمته، ثمّ النّطق بالحكم في المقطع الآتي: «كانوا سبعة ملثمين، فلا تبدو مِن وجوههم إلاّ أعينهم، في أيديهم رشّاشات، وفي أحزمتهم سيوف، دفعوه إلى غرفة النوم وأمروه بالوقوف وجلسوا هم وأعلنوا بصوت واحد: محكمة.

بُوغت فلم يدر ما يفعل واختلطت السّيناريوهات التي كان وضعها منذ سنوات في حالة ما إذا هوجم»[29] هذا المقطع السردي يتناص مع حالة الموت التي يعيشها المثقف،

---

[26] - حسن عجمي، (1437 هـ - 2016 م) المعنى لوجيا والمعنى فوبيا، من السوبر عولمة، إلى السوبر ماضوية، ط أولى، الدار العربية للعلوم، ناشرون بيروت، ص 164.

[27] - أحمد عطار وآخرون، (2016)، مقاربات فلسفية للنصوص الروائية الجزائرية، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، ص 50.

[28] - ينظر أحمد عطار وآخرون، مقاربات فلسفية، ص 50.

[29] - الطاهر وطار، (1995)، الشمعة والدهاليز، د ط، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، ص 185.

المشحون بإيديولوجيا المعارَضة، وسينقل هذا المشهد السّردي، ويصوّر الجريمة والتزيف الاجتماعي: «... في المسجد رفضْتَ التحدث إلى جماعتنا، قلتَ إنّك مفكّر، وباحث، وأنه لا يحقُّ أن تعامَل كما لو أنك من عامّة الناس، وقلتَ بالحرف الواحد، إنما فضَّل الله العلماء من خلقه، كان همك الأول والأخير، أن نتأكد مما إذ لم تكن جماعتنا أو بعض منها، من الأجهزة، ولقد أفلحت في ذلك أيها الشيطان... أنت فيروس، أنت جرثومة، القضاء عليك فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد حُكم عليك في هذه الورقة وقدام الله وعباده بالموت ذبحا»[30] تسترسل الشخصية وتغرق في الخطاب التأنيبي، التأديبي، التكفيري للشاعر ،الذي هيمن حضوره في النص السردي، فأنا الإرهاب إقصائية، تهدف إلى الاعتداء وتصفية الوجود الإنساني المخالف لها، والعنف أهم وسيلة لتنفيذ حكمها، بوصفه بديلا للحوار والسلم، لقد اهتمت الرواية بالجزئيات التي تُصوّر بؤس وتعاسة المجتمع الجزائري، الغارق في دم جراحه وانكساراته ،جراء الحرب الأهلية في التسعينات وأعادت تشكيل المركز، بجعله في الهامش من خلال عمليات التصفية التي استهدفت المثقف الذي شكل هاجسا لحراس النوايا بتعبير "واسيني الأعرج".

**2.4-دم الغزال: الإرهاب والسلطة:**

تأتي رواية "دم الغزال" للروائي مرزاق بقطاش لتعلن عن الهمجية والعنف ضد السلام والحوار، وإصرار الذات الجزائرية على تحطيم ذاتها والخلاص من الأنا اليوتوبية، وبما أن السّياسي جزء من الثقافي، فقد تحرّكَ السياسي لفكِّ شفرة العطب في المجتمع الجزائري، تسرد الرواية تجربة الرئيس محمد بوضياف الذي أراد حل معادلة مجتمع يئنُّ وينزف، أراد تحطيم فوقية الإرهاب، وأراد أن تكون الجزائر مدينة فاضلة تستشرف الأمل، مدّ يده للجميع هذا يؤكده المقطع الآتي: «عندما رجع إلى البلاد: هذه يدي أمدها للجميع، ومنذ ذلك الحين وأهل السياسة يُؤدون أدوارًا قد تكون ثانوية، لكنها أدوار قاتلة»[31] هذا الخطاب السياسي يحمل ثيمة الرفق والتسامح، في حين كان العنف رسالة الآخر، حيث تنقل الرواية تراجيديا التصفية على المباشر وهذا ما جاء على لسان السارد: «فوق تينةٍعجوز تسلّقتُها لأجني حبة أو حبتين مخاطرًا بنفسي فوق أغصانها القديمة المهترئة، في

[30] - الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز ص 195 ، 197.

[31] - مرزاق بقطاش، (2002)، دم الغزال، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 16.

تلك اللحظات التي جمعت فيها أعصابي حتّى لا أميل يمنة أو يسرة... بلغني صوت إحدى الجارات متأوّهة: ولمَ لَمْ يتركوه يموت من تلقاء نفسه... إنه شيخٌ طاعنٌ في السنّ... وها هو صوت زوجتي يأتيني من غرفة النوم: هناك شريط مكتوب على شاشة التلفزيون... وتوقّفتْ وراحتْ تقرأ بصوت مرتفع: اغتيل الرئيس محمد بوضياف صباح اليوم»[32] هذا مشهد آخر من مشاهد العنف، حيث استمدت أحداثها من الواقع السياسي، وحادثة اغتيال الرئيس محمد بوضياف، الذي يُعَدُّ خطابه مضادًا للإرهاب؛ لأنّ «إشكالية العنف وربطها بالخطاب السياسي، مرتبطة بعدة مستويات نتيجة طبيعة هذا الخطاب كخطاب مضاد»[33] ويبقى حدث اغتيال الرئيس حدثا غامضا يقدّمه السارد في مشاهد متوترة، سريعة، يدلل الحدث على ثقافة العنف التي أصبحت تيمة ابستيمية يرتكز عليها العقل الجزائري منذ التسعينات.

في السياق ذاته تقدم رواية "تماسخت / دم النسيان" للحبيب السائح، صورة الإرهابي وانتهاكاته وقدرته على توليد الخوف، فالكيان الثقافي يتم اقصاؤه بشتى الطرق المأساوية، وقد وقف السرد عند التفاصيل والجزئيات، يعرض السارد فعل القتل الذي لم يستثن أحدا ويقدّم تقارير قصيرة عن مشاهد القتل في الصحف «في الصفحة الثالثة كانت صورة سيدة بدت على حزن نبيل عامرة كبرياء وهي تتحدث عن زوجها المغتال ذبحا في عيادته، ماذا كان يحمل غير سمّاعة النّبضِ وبسمةً لمَرضاه؟ الحاقدون مثلو بجثته»[34] تحولت الجزائر إلى فضاء للقتل، ومجزرة للذبح، وانقسمت إلى حكومة نهارية وأخرى ليلية على حد تعبير الروائي – تمارس أقصى درجات العنف والتنكيل ضد الجميع، ومن خلال هذا الاسترجاع يستعيد كريم الشخصية المحورية ماضيه، في أثناء رحلة هروبه إلى المغرب، ويستذكر الفجائع التي ألَمَّت بالمثقفين: «بات كريم ليلته بين وجدة والرباط مشدود الوجدان إلى ماضيه القريب، فإنه لم يكن في القطار اللّيلي سوى ما رمى في حاضره المظلم بما خلّفه وراءه من صور الفجائع التي صار لها يوم الثلاثاء موعدًا لِيَد الوحش تطال كتابا ومدرسين

[32] - مرزاق بقطاش، دم الغزال، ص 19 ، 20.

[33] - أحمد عطار وآخرون، مقاربات فلسفية للنصوص الروائية الجزائرية، ص 37.

[34] - الحبيب السائح، (2012)، تماسخت / دم النسيان، د ط، فيسيرا للنشر، الجزائر، ص 28.

وفنانين، محرّرين ومذيعين وتقنيين ومصورين وسائقين لا فرق بين النساء والرجال، كان عمر أولهم ولم يكن آخرهم»[35].

ويعد هذا الاسترجاع الداخلي بطاقة تقنية عن المغتالين يقابل السارد من خلاله «بين الحاضر والماضي ويفسِّر اللاّحق بالسابق ويسقط السابق على اللاحق من خلال إحالات ضمنية منتشرة في جميع الاتجاهات»[36] وقد ركز المتخيل الروائي على الذوات المتشظية بتوظيف الزمن المنكسر لتصوير حدث الموت الذي يلاحق المجتمع المتشظي، سواء أكان فعليا أم معنويا؛ «لأن ممارسة الموت قد تبدت بأشكال مختلفة أهْوَنُها القرار وأقصاها البقاء مع الموت»[37] ومن ثم أَلِف المجتمع الجزائري التعايش معه وأصبح جزء من يومياته، ويُعلن السّرد في هذا المقطع الاستذكاري رفض المثقف للموت، التي عدّها انتصارا على الجبناء «فقد استحوذ عليه شبح القاتلين لاهثين نحو إسماعيل، يخرجُ من العمارة في حيّه الشعبي متمشّيا إلى محطة الطرولي، شاقًّا ليومه وجهًا بسلالم النّدى، مجروحَ الرّوح بوجه زميله المغتال، الذي كان قبل أسبوع ابَّنه في نشرة الثامنة ليلا بأقصر الكلمات: «اطمئنْ اغتيالنا قلادة عار على صدورهم» لم يبتعد إلا أمتارا حتى أحاطوا به في تقاطع، تراجع كأنّه نسي أن يودِّع عروسه، فأطلق عليه أوّلهم في الظَهر، ترنّح عند باب جاره المغلق، التفت عاصرا قبضته، أَطلق عليه الثّاني في الرّأس وفي الصدر، انهار في سكونٍ مفترشا دمه»[38] موت إسماعيل الصحافي في هذا النص هو موت الرّؤية الواعية، وإطلاق هذا الاسم مشحون بدلالات التضحية والصبر لأن اختيار اسم العِلم يُعدّ «عنصرا هامّا في التضعيف الدّلالي»[39] وتُواصل الرّواية رصد حالة الموت التي طالت المثقفين، فهذا عمر إعلاميٌّ آخر يلاحقه هاجس الإرهاب أو اللّعنة التي حطّمت كيان المجتمع «فكبقية الرُكاب الستة نزل عمر من التاكسي،

---

[35] - الحبيب السائح، تماسخت، ص 66.

[36] - سعيد بنكراد، (2008)، السرد الروائي وتجربة المعنى، ط أولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 140.

[37] - آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية، ص 83.

[38] - الحبيب السائح، تماسخت، ص 66 ، 67.

[39] - شريبط أحمد شريبط ، (1996)، سيميائية الشخصية الروائية، تطبيق أراء فيليب هامون على شخصيات رواية غدا يوم جديد ،أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، الجزائر ،ص216.

يداه على رأسه، عيناه في عينيّ أحد المسلحين مصوبا لبطنه المحشوشة بعصبية مفترسة... لا شيء غير الموت الذي كان يحمل سببه في جيب قميصه وثيقة الأمر بمهمة، كيف يتلفها؟ الكدية وراءه والمنحدر ينسحق أمامه، وبينهما كان المسلّح، دنا منه وطلب إليه أوراقه، فقرأ بطاقة الهوية ثم مدّ يده لتفتيشه فأنزل عليه قبضتيه بعصبية اليائس مرنّحا إيّاه، فزعق من خلفه صوت حاقد تلاه عصف رشاش مزق ظهره مقطعا أوصال صمت الطريق الجبلية، لم يصرخ عمر، تهاوى عاصرا قبضة لفطوم تتناءى متضائلة فمضمحلّة وتدحرج كومة من دم رسّبت التربة السوداء فلفتها الأوراق المنفوضة قبل أن تهمد عند جذع شجرة صنوبر»[40] يكشف النص هوية وبشاعة القاتل، وقلبه الحامل للضغائن بحيث لا يحضر الآخرون في مفهومه إلا بوصفهم كفرة، لذلك أراد أن يعيد تشكيل المركز، وزحزحة من يخالفه الرأي، ويحاول الروائي تفكيك الواقع الجزائري المأزوم والإجابة عن سؤال الموت والتحليل السوسيو ثقافي للشخصيات التي شكلت الفعل الثقافي الجزائري.

**3.4- رواية الورم والصور المرعبة:**

وثّق "محمد ساري" العشرية السوداء برواية الورم بالوقائع الممكنة التي مثَّلت هذه الفترة، بتشكيل خطابه بوصفه رسالة متوترة قلقة تنضح بالدموية، لأجيال لا تعرف دلالات النّحر البشري و «اعتمد في عمله ما يُسمّى بفن المشاكلة vraisemblance leوالإيهام بالواقع واستحضار الوقائع الممكنة جدا أو التي أمكنت لتمثيل المشاهد والأنساق والصور التي هي الوجه الآخر لما وقع أو هو واقع والتي تكمل معه حقيقة الحقيقة»[41] رواية الورم مشحونة بعنف لفظي، محمل بالدّموية وتشظي الذات الجمعية حيث تشتغل الرواية وفق إكراهات الواقع وتهديد الإنسانيّة بالانقراض، تعيش الشخصية المحورية "كريم بن محمد" حالة انفصام بعد إطلاق سراحه من المعتقل، وقد اكتشف حقيقة الأمراء الذين يعيشون واقعا مزيّفا تختفي وراءه الحقيقة، فهو يعيش بين الواقع بنزوعه إلى المحسوسات، والحقيقة المغيبة وهذا ما نسّجله في هذا المقطع «لكنَّ حماس كريم فتر بنسبة كبيرة أثناء إقامته في المعتقل، حيث شاهد عن قرب السلوكات اليومية للأمراء الجدد، الذين أظهروا جَهلهم

[40] - الحبيب السائح، تماسخت. ص67.

[41] - محمد خرماش، (2009)، وآخرون، قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ندوة الصورة والخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 263.

المُطبق بالمسائل الفقهية وعوَّضوه بالغطرسة والتسلّط على جنودهم، ناهيك عن الخلافات الصبيانية حول مسائل تافهة، والعنف اللّفظي والعبارات السوقية والشتائم البذيئة التي يمطرون بها بعضهم بعضا»[42] يصور المقطع السردي المفارقة في شخصية الأمراء وكيف يتحولون se transformer على المستوى التخييلي من دعاة فكر رباني إلى الانحطاط الفكري وهذا ما يؤكده هذا النص «أثناء ظهيرة، حرارتها مرتفعة حيث بدت الخيام على وشك أن تضطرم نارا ملتهبة، كان كريم عائدا إلى خيمته بعد أن تأخر عند أحد الإخوة حينما سمع أصواتا حماسية تنطلق من إحدى الخيم تصور الرهط يناقشون موضوعا من الموضوعات الفقهية المتداولة، فانحنى أمام المدخل ورفع جزءا من الباش المتدلي ليشاركهم الحديث صعقته مفاجأة المنظر لقد تحلق مجموعة من الأمراء القياديين في المعتقل حول مائدة مزينة بما طاب ولذ من المأكولات: دجاج محمر، عرجون تمر من دقلة النور، زيتون بنوعيه الأخضر والأسود، الجبن، التشينة، اللّيموناد... تجمد كريم في وضعيته، كان منحنيا وروائح المأكولات تدغدغ أنفه المغبر... تفاجأ الأمراء المتحلقين حول المائدة المعبأة، لم يكونوا ينتظرون مختلسا يعكر صفوهم في هذا الوقت من النهار حيث يركن الجميع إلى نوم القيلولة، انتفض أحدهم قائلا... أيها الفضوليُّ اللّعين من أذن لك بالدخول»[43] تشكل الأمراء واستمدوا قوتهم من فئات الشعب التي آمنت بمشروعهم، لكن تحولوا إلى كانيبال يعنفون كل متطاول عليهم ما أدى إلى إفساد البنية الاجتماعية للفرد الجزائري وهذا ما حدث لكريم المتحول من رجل مسالم إلى جزار بعد عودته من المعتقل، يقدم على ذبح أقرب الناس إليه صديقه محمد يوسفي الصحفي في جريدة الوحدة «محمد يوسفي نجح في امتحان شهادة البكالوريا والتحق بالجامعة، تخصص إعلام، أما كريم بن محمد فلم يكن له ذلك الحظ»[44] بين الشخصيتين صداقة قديمة وكان محمد يوسفي أكثر عطاء لصديقه العائد من المعتقل، لكن شخصية كريم تفيض عنفا، بفعل شحنه من قبل الأمير يزيد التلميذ الراسب المعادي لكل بنيات المجتمع الجزائري، حيث يكلف كريم بنحر محمد يوسفي المثقف البراكسيسي «اقتراح القتل في حد ذاته ودون معرفة هويّة الضحيّة زلزل كيانه وحبس كل كلمة يمكن أن يتلفّظ بها إن

---

[42] - محمد ساري، (2002)، الورم، ط أولى، منشورات الاختلاف الجزائر، ص 18.

[43] - المرجع نفسه، ص 18.

[44] - المرجع نفسه، ص 37.

للاعتراض، وإن للاستفسار، ولكن بعد سماعه اسم الشخص المستهدف، ارتعش جسمه في حركة تشنجيّة، وغمره انقباض ضاغط كأنّه تلقّى خنجرا في الصدر... لم يعُد يُبصر إلا وجه الصديق الذي يريدون تصفيته بشلاغمه الكثة التي أكلت الشفة العليا وجبهته العارية، يحلق في فضاء القبو المظلم»[45] المقطع السردي يختزل حالة التوتر التي عاشها كريم قبل أن يتحول إلى سفاحsanguinaire، أو ربوت Robot يقوده يزيد لحرش ذلك الأُمّيْ الحامل للخطاب التكفيري لكل المجتمع الجزائري، وهي شخصية متطرفة في أفكارها وفي سلوكاتها ويمثل قوة ضاغطة على الجماعة التي يتأمرها، يعد أفيونها المخدر لعقولها ،هذا ما يؤكده المشهد السردي ،عند استدراج كريم لضحيته الصحفي محمد يوسفي «... أهلا وسهلا بك كريم

قال محمد يوسفي وهو يتقدم نحوه عبر الهو، مادًا ذراعيه نحو الأمام، قبّله على الخدين وقال: أدخل... نتعشّى سويًّا، جئتَ في الوقت المناسب كأنّنا كنّا بانتظارك.

تلعثم كريم لحظات ثم قال:

- لا شكرا... أريدك لدقائق فقط، لو نمشي قليلا، سوف لن أطيل هيا... لحظات قليلة فقط...

- مثلما تريد

غلق محمد يوسفي الباب خلفه وتبعه، واثقا، مطمئنا بأن الموضوع في غاية البساطة»[46] بالتأويل السردي نقول أن المشهد السردي Récit Scénique محمل برائحة الموت الذي ينتظر الصحفي وهو ما سيعلن عنه السرد لاحقا وينقل تفاصيل صادية يزيد لحرش وجماعته «نحن جماعة المسلمين وعملا بالشريعة الإسلامية، اتخذنا قرار إعدامك لأنك خادم الطغاة، أعداء الله والإسلام.

صاح محمد يوسفي بكل ما تبقى له من جهد:

لست عدو الله والإسلام... أنا مسلم مثلكم أصَلي، أصوم، أنطق يوميا بالشهادتين..

---

[45] - الورم، ص 22.

[46] - الورم، ص 177 ، 178.

كان ممدَّدًا على ظهره، ويكاد وجهه يلامس جذع شجرة الكاليتوس، تقدّم فريد زيتوني، انحنى على جسده، أخذ حفنة تراب وأدخلها بعنف في فم الصحفي كي يمنعه من الكلام... قال الأفغاني دون أن ينزع رِجله من صدره:

«صلاتك صلاة المنافقين وهي باطلة لا يقبلها الله»[47] الصورة تنضح بالعنف الذي سيكتمل في المقطع الآتي:

«امسك الرأس جيدّا كي أتمكن من إتقان الذبح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح.

ودون أن ترتعش يداه، مرّر السكّين على الرقبة، انفجر الدم بقوة ارتعش الجسم في حركات حادة، متتالية ارتفع شخير مخنوق، ثم توقف الجسم المذبوح عن الحركة... تقدّم بوشاقور وبضربة رِجْل عنيفة دفع الجثة نحو حفرة صغيرة انقلبت الجثة مرتين قبل أن تتوقف، نصفها في الماء العكر»[48] ما أعنف هذه الصورة التي يُعلّق عليها الناقد المغربي "محمد خرماش" بقوله «كل ما في هذه الصورة مرعب ترتعد منه الفرائس والأوصال، الخيانة العظمى، الغدر والمكر، القسوة وتبرير الأفعال الوحشية؛ صورة فاجعة مخيفة على الورق، فما بالك أن يعيشها الناس في الواقع وأن يكون ذلك قد كان كذلك! إن مثل هذه الصورة المستغرقة في السرد أشبه ما تكون بصورة الحلم الذي يستيقظ منه الإنسان فزِعا»[49] إنّ رواية الورم تقدم صور حية عن فاجعة ألمت بالمجتمع الجزائري، صورها مخيال المبدع ووثق تفاصيلها، بقدرة فائقة من حيث توظيف اللّغة لنقل القبيح البشع في ثوب جمالي.

تركيب:

نقل السرد صورة للوجع الذي عاشه الفرد الجزائري، وكانت الرواية نصًا موازيا للتاريخ وثقت العشرية السوداء la décennie noire التي أدخلت المجتمع الجزائري متاهة labyrinthe يصعب الخروج منها، وعنف المجتمع ولّد عنف المعنى في الرواية وارتبط العنف بظاهرة الإرهاب التي تؤشر إلى الإسلام البريء ممّا ألصق به، لأن «الإرهاب ليس صورة

---

[47] - الورم، ص 180.

[48] - الورم، ص 181.

[49] - محمد خرماش، (2008)، خطاب الصورة السردية نماذج من رواية الورم محمد ساري، أعمال ندوة الصورة والخطاب مارس ص 266.

عنيفة من صور الإسلام كما شيع في الكثير من الدراسات الغربية، وإنما الذي حدث هو أنه انطلق من تأويل النصوص والمبادئ الإسلامية وما احتواه في تراثه، وذلك لتحقيق أغراضه السياسية ولتبرير إيديولوجياته»[50] تحول الإسلام بموجب الإيديولوجيا الغربية إلى إسلاموفوبيا، بتزكية من الجماعات المتطرفة الرافضة للتعايش والحوار ونظرة الاستعلاء للآخر ،الذي يخالفها الرأي وتحول العنف إلى خطاب موازي يحارب الرفق، واستطاعت الرواية الحمراء أن تنقل سيناريوهات النحر للمثقف الذي شكّل خطرا يهدِّد كيان الجماعات المسلّحة ويفضح جرائمها ومجازرها المرتكَبة في حق الأبرياء، وتكونت جدلية الأنا والآخر من انشطار الأنا الجزائرية وغاب الإنسان وحلّ مكانه حيوان متوحش يفترس أخاه وقد عبّر أحد الباحثين عن تحولات الإنسان بقوله «الأسد لا يقتل الأسد، النمر لا يقتل النمر، الإنسان يقتل الإنسان فمن منهما الحيوان؟؟.»[51].

[50] - بخضرة مونيس وآخرون، مقاربات فلسفية للنصوص الروائية الجزائرية، ص 30.

[51] - قضايا النقد الأدبي، ندوة الصورة والخطاب، ص 269.

## قائمة المصادر و المراجع:


1. أحمد, أ. (2014). *سيكولوجية العنف ، المؤسسة، ومأسسة العنف*. الرباط: منشورات مجلة علوم التربية.
2. أحمد, ع. (2016). *مقاربات فلسفية للنصوص الروائية الجزائرية*. تلمسان: النشر الجديد الجامعي.
3. ادوارد, س. (2006). *المثقف والسلطة، تر محمد عناني*. القاهرة : رؤية للنشر والتوزيع.
4. أم الزين, ب. ا. (2016). *الفن في زمن الارهاب*. الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف.
5. آمنة , ب. (2011). *المتخيل في الرواية الجزائرية من المتمائل الى المختلف*. تيزي وزو: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
6. بشير, م. (2013). *سيرة طائر الليل- نصوص شهادات، أسئلة*. الجزائر: منشورات ضفاف بيروت، منشورات الاختلاف.
7. توفيق , ا. (2013). *القرار 1373 والحرب على الارهاب*. صيدا: منشورات زين الحقوقية.
8. حسن, ع. (2016). *المعنى لوجيا والمعنى فوبيا، من لبسوبر عولمة، لى السوبر ماضوية*. بيروت: الدار العربية للعلوم، ناشرون.
9. السائح, (2012). *تماسخت/ دم النسيان*. الجزائر: فيسيرا للنشر .
10. سعيد, ب. (2008). *السرد الروائي وتجربة المعنى*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

11. شريبط أحمد, ش. (1996). *سيميائية الشخصية الروائية، تطبيق أراء فيليب هامون على شخصيات غدا يوم جديد*. الجزائر: منشورات جامعة عنابة.

12. الطاهر, و. (2012). *الشمعة والدهاليز*. الجزائر: منشورات التبيين الجاحظية.

13. عبد العزيز عزة, ا. (2007). *وسطية الاسلام، أبحاث موقف الشريعة الاسلامية من الحق الانساني والعنف والسلام والارهاب والحرب والجهاد*. الاسكندرية: دار السلام للطباعة والنشر.

14. فريدة ابراهيم, ب. م. (2011). *زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية*. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.

15. محمد شوقي, ا. (2012). *الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع*. بيروت، الجزائر: منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف.

16. محمد, ا. (2008). *من أجل نظرية معرفية للارهاب*. الجزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع.

17. محمد, خ. (2009). *قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ندوة الصورة والخطاب*. اربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.

18. محمد, س. (2002). *الورم*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

19. مرزاق, ب. (2002). *دم الغزال*. الجزائر: دار القصبة للنشر.

20. ابن منظور, ا. ا. أ. ا. ج. ا. م. ب. م. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

21.Antonio, G. (1971). *The prison note book,1 selections,tronsquentin Hoare and Geoffrey Noell-Smith*. New York: New York,international publisher.

22.Norbert, S. (1980). *Dictionnaire de psychologie*. Paris: Bordas.